@ 624 @ أوتيته على علم عندي) ^ أي : إنما أدركت هذه الأموال ، بكسبي ، ومعرفتي بوجوه المكاسب ، وحذقي . أو على علم من ا بحالي ، يعلم أني أهل لذلك ، فلم تنصحوني على ما أعطاني ا ؟ قال تعالى مبينا أن عطاءه ، ليس دليلا على حسن حال المعطي : ^ (أو لم يعلم أن ا قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) ^ فما المانع من إهلاك قرون أخرى ، مع مضي عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم منه ، إذا فعل ما يوجب الهلاك ؟ ^ (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ^ بل يعاقبهم ا ، ويعذبهم على ما يعلمه منهم . فهم ، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة ، وشهدوا لها بالنجاة ، فليس قولهم مقبولا ، وليس ذلك رادا عنهم من العذاب شيئا ، لأن ذنوبهم غير خفية ، فإنكارهم لا محل له . فلم يزل قارون مستمرا على عناده وبغيه ، وعدم قبول نصيحة قومه ، فرحا بطرا قد أعجبته نفسه ، وغره ما أوتيه من الأموال . ^ (فخرج) ^ ذات يوم ^ (على قومه في زينته) ^ أي : بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه ، قد كان له من الأموال ما كان ، وقد استعد وتجمل بأعظم ما يمكنه . وتلك الزينة في العادة ، من مثله ، تكون هائلة ، جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفخرها . فرمقته في تلك الحالة العيون ، وملأت بزته القلوب ، واختلبت زينته النفوس . فانقسم فيه الناظرون قسمين ، كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة . ^ (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) ^ أي : الذين تعلقت إرادتهم فيها ، وصارت منتهى رغبتهم ليس لهم إرادة في سواها : ^ (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) ^ من الدنيا ومتاعها وزهرتها ^ (إنه لذو حظ عظيم) ^ . وصدقوا إنه لذو حظ عظيم ، لو كان الأمر منتهيا إلى رغباتهم ، وأنه ليس وراء الدنيا ، دار أخرى ، فإنه قد أعطي منها ما به غاية التنعم بنعيم الدنيا ، واقتدر بذلك على جميع مطالبه ، فصار هذا الحظ العظيم بحسب همتهم ، وإن همة جعلت هذا غاية مرادها ، ومنتهى مطلبها لمن أدنى الهمم ، وأسفلها ، وأدناها ، وليس لها أدنى صعود إلى المرادات العالية ، والمطالب الغالية . ^ (وقال الذين أوتوا العلم) ^ الذين عرفوا حقائق الأشياء ، ونظروا إلى باطن الدنيا ، حين نظر أولئك إلى ظاهرها : ^ (ويلكم) ^ متوجعين مما تمنوا لأنفسهم ، راثين لحالهم ، منكرين لمقالهم . ^ (ثواب ا) ^ العاجل ، من لذة العبادة ومحبته ، والإنابة إليه ، والإقبال عليه . والآجل من الجنة ، وما فيها ، مما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ^ (خير لمن آمن وعمل صالحا) ^ من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه ، فهذه حقيقة الأمر . ولكن ما كل من يعلم ذلك يقبل عليه ، فما يلقى ذلك ويوفق له ^ (إلا الصابرو) ^ الذين حبسوا أنفسهم على

طاعة ا ، وعن معصيته ، وعلى أقداره المؤلمة ، وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها ، أن تشغلهم عن ربهم ، وأن تحول بينهم ، وبين ما خلقوا له . فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب ا على الدنيا الفانية . فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر ، وازينت الدنيا عنده ، وكثر بها إعجابه ، بغته العذاب ^ (فخسفنا به وبداره الأرض) ^ جزاء من جنس عمله . فكما رفع نفسه على عباد ا ، أنزله ا أسفل سافلين ، هو ما اغتر به ، من داره ، وأثاثه ، ومتاعه . ^ (فما كان له من فئة) ^ أي : جماعة ، وعصبة ، وخدم ، وجنود ^ (ينصرونه من دون ا وما كان من المنتصرين) ^ أي : جاءه العذاب ، فما نصر ، ولا انتصر . ^ (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) ^ أي : الذي يريدون الحياة الدنيا ، الذين قالوا : ^ (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) ^ . ^ (يقولون) ^ متوجعين ومعتبرين ، وخائفين من وقوع العذاب بهم : ^ (ويكأن ا يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) ^ أي : يضيق الرزق على من يشاء ، فعلمنا حينئذ ، أن بسطه لقارون ، ليس دليلا على خير فيه ، وأننا غالطون في قولنا : ^ (إنه لذو حظ عظيم) ! 2 2 ! (لولا أن من ا علينا) ^ فلم يعاقبنا على ما قلنا ، فلولا فضله ومنته ^ (لخسف بنا) ^ فصار هلاك قارون ، عقوبة له ، وعبرة وموعظة لغيره ، حتى إن الذين غبطوه ، سمعت كيف ندموا ، وتغير فكرهم الأول . ^ (ويكأنه لا يفلح الكافرون) ^ أي : لا في الدنيا ولا في الآخرة . ^ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) ^ لما ذكر تعالى ، قارون وما أوتيه من الدنيا ، وما صارت إليه عاقبة أمره ، وأن أهل العلم قالوا : ^ (ثواب ا خير لمن آمن وعمل صالحا) ^ رغب تعالى في الدار الآخرة ، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال : ^ (تلك الدار الآخرة) ^ التي أخبر ا بها